

الاغنية الشعبية الفلسطينية من الحزن الى الشوق الى القتال

نمر سرحان

لقد جاءت معركة الكرامة بعد اقل من عام من الهزيمة المدوخة التي حلت بجيوش الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وفي الفترة بين حزيران والكرامة كان الناس يعرفون وهم في غمرة جو معنوي شديد الانخفاض ان الارض العربية مفتوحة للجيش الاسرائيلي الا انه هو نفسه لا يريد أكثر مما حصل عليه من اراضي سوريا ومصر والاردن . وكانت مرارة الهزيمة لا تزال حية في الازهان كما لو انها حصلت قبل يوم واحد . ولم يكن الشعب قد صحا بعد على الوضع المذهل الذي وجد نفسه كأن الحزن هو قدره . وكان وجدانه اضعف من أن يعبر عما حصل . ولم يكن يطفو على سطح هذا الجو الحزين سوى بعض تعابير تقطر بالاسى :

رايب يا يما رايب
بغني والقلب دايب
لو انا في بلدنا
لسوي امور العجايب

وخلال الساعات الاولى من ساعات المعركة الخمس عشرة وعبر البيانات التي اذاعتها اذاعة اسرائيل والتي قصدت منها تحطيم معنويات السكان خيل للمستمعين انه هو ذلك الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر قد احتل اراض جديدة على الضفة الشرقية من نهر الاردن وبعد اقل من عام من احتلاله لاراض واسعة (سورية ومصرية و اردنية) بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . كانت اذاعة العدو تردد نفس البيانات التي كانت ترددها وهي تجتاح الضفة الغربية والجولان ، ادخلوا الى بيوتكم . احكموا اغلاق الابواب والنوافذ . كل من يطلق النار على جيش الدفاع الاسرائيلي يقتل حالا » . الا انه وفي ساعات المساء من يوم الكرامة وبعد انجلاء غبار المعركة وتوارد الانباء عن بطولات رجال المدفعية في الجيش الاردني والاستبسال الرائع المنقطع النظير الذي ابداه رجال المنظمات الفدائية الفلسطينية والذين جابهوا المحتلين بكل ضراوة ، تغيرت الصورة وتناقل الناس اخبار الابطال الذين دمروا دبابات العدو ، بعد ان نسفوها باجسادهم والذين حصدوا المظليين الاسرائيليين بالرشاشات والسلاح الابيض والذين التهب (سباطانات) مدفيعتهم حتى تحولت الى جمر . وروى شاهدو العيان كيف دمرت مدفعية الجيش الاردني سيارة تانك انهجوم الاسرائيلي واطاحت علمها ذلك العلم الذي كان سرعان ما يرفع على ارض عربية بعد كل احتلال . وقد عبر وجدان الجماهير عن هذا الحدث الجديد في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي بهذا البيت من العتابا :

نكست اعلامهم الا علمنا
وقال الشعب يا فرحة علمنا